حركات التحرر الوطني ايديولوجية تصلها في نهاية المطاف بالرأسمالية العالمية، من خلال صلتها بأوروبا الرأسمالية.

لاشك أن اوروبا الرأسمالية هي مهمة بالنسبة للفصائل التقدمية أيضا، التي تستطيع أن تميز تناقضات هامة بينها، وبين الولايات المتحدة؛ وهذه التناقضات لا يمكن أن تخرج أوروبا عن الفلك الأمريكي، ولكن لا تخلو من أهمية في تطور الأحداث العالمية، ومنها الأحداث في الشرق الأوسط. زيادة على ذلك، الرأي العام الأوروبي له أهمية بالغة جدا، ومنفصلة عن موضوع الأنظمة الأوروبية، والبنى التي تقوم عليها. لذلك تعمل الفصائل التقدمية، ومن الضروري أن تعمل، على الاستفادة من كل ما هو ايجابي على المسرح الأوروبي، ومفيد لصالح التطورات التقدمية في العالم، وذلك بالتعاون مع القوى التقدمية العالمية، وبالتنسيق معها. هذا يختلف جذريا عن اعتبار أوروبا الرأسمالية بديلا عن التحالفات التقدمية، ومحطة للارتباط بالرأسمالية العالمية بأعتبارها صيغة رأسمالية «مخففة» عن الرأسمالية الأمريكية.

على كل حال، الأنظمة العربية الاقطاعية حريصة على صلتها بالولايات التحدة، بالذات، وتعتبر علاقتها بأوروبا الرأسمالية ثانوية.

٣ـ المناداة بكون مفتاح الحل في الصراع العربي ـ الاسرائيلي هو في يد أمريكا.

بغض النظر عن المنطق، الذي يدعم ذلك، فإن معناه، بكل بساطة، هو أن حل الصراع العربي ـ الاسرائيلي، هو الحل الأمريكي، ولا حل غيره، وباعتبار الحل الأمريكي متطابقا مع الحل الاسرائيلي، فإن النتيجة في نهاية المطاف هي كون الحل الاسرائيلي للصراع، هو الحل الوحيد. لنترك الآن هذه النقطة، كي نعود اليها، فيما بعد.

٤ـ انتقاد القوى التقدمية، وتعجيزها، ومهاجمة الاتحاد السوفيتي، في غير الأمور الايديولوجية والسياسية، بأنه ليس مستعدا لوضع ثقله مع العرب ضد اسرائيل، كما تضع أمريكا ثقلها في الطرف المقابل.

ربما، لدى القوى التقدمية الكثير من الثغرات، وربما هي عاجزة فعلا عن تقديم منظور صحيح وسليم للوقوف ضد القوة الأمبريالية الضخمة، المجسدة باسرائيل؛ ربما، أيضا، القوى التقدمية بحاجة، الى أن تنتقد نفسها ذاتيا، على ضوء تجارب حركة التحرر الوطني العربية منذ الأربعينات حتى الآن، وعلى ضوء التجارب الأنضج، التي وجدت في العالم، وعلى ضوء الفهم الأعمق للتطورات، التي تجري في العالم، وللمعطيات العربية والدولية.

لكن الانتقاد الرجعي للتقدمية يدور في مجال آخر، مختلف تماما، فهو يتركز على النقطة التالية: ما دامت التقدمية، سواء كانت ممثلة بهذا الفصيل، أم ذاك، قد فشلت فلا بديل إذن عن الرجعية؛ الفشل التقدمي برهان على صحة الموقف الرجعي.

هذا الطرح تدعمه مرحليا على الأقل أمور عديدة، لا نستطيع التعرض لها، حتى بايجاز، لأنها تحتاج الى دراسة واسعة ومدققة. لكن يمكن أن نشير الى بعض النقاط، التي ربما لم تنل، أو لم ينل بعضها، ما تستحق من التحليل من جانب القوى التقدمية.

ـ نجد في البداية البني الاجتماعية الأركيولوجية (الأثرية)، التي تعني، من جهة، اتساع رقعة الأمية، أو محدودية التعليم، والإنغلاق ضمن ضمن أطر للحياة ضيقة، وبعيدة عن العصر؛ ولا يظهر هذا في الريف فقط، وانما في المدن أيضا، وقد يتأثر به بشكل عفوي وطبيعي قطاعات من المتعلمين؛ وتساعد (أي البني)، من جهة أخرى، على نفوذ التحركات الرجعية، وعلى انتشار الأكاذيب الرجعية، وعلى استمرار التشكيلات الرجعية، بمختلف نماذجها.